مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص272-285

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

البعد الأنثروبولوجي الديني للأسطورة في النص الأدبي

-الحضور و المنهج-*

The religious anthropological dimension of myth in the literary text Attendance and curriculum

رزيقي الحاج ساعد[1]

[1]جامعة زيان عاشور الجلفة، مخبر إستراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر

hadjsaadrezigui.1970@gmail.com

أ.د/ عبد الوهاب المسعود[2]

[2]جامعة زيان عاشور الجلفة، مخبر إستراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر

wahab22m@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/28 تاريخ القبول: 2020/03/23

ملخص:

تعتبر الأسطورة "تاريخ البشرية الأولى" ترجمت ملامحه الدقيقة، عبارات الخيال الإنساني باستقراء تاريخ الآلهة ' وهو تاريخ عصر الأبطال'، كان الإنسان يعجب "بالقوة " وهذا ما حدث عند اليونان بخصوص تطور (مفهوم الآلهة) انتقلت من البطولة البشرية " البربرية " إلى التقديس، كما هو شأن الأصنام والأوثان العربية التي عبدت في العصور الغابرة.

كلمات مفتاحية: البعد، الأنثروبولوجيا، الأسطورة، النص الأدبي، الحضور، المنهج.

Abstract:

The myth of "the history of mankind first" translated its precise features, the words of human imagination by extrapolating the history of the gods 'the history of the era of heroes', was admired by "force" and this is what happened in Greece regarding the evolution of the concept of gods moved from human heroism "Berber" to sanctification, As is the case with Arab idols and idols that were worshiped in ancient times.

Keywords: Dimension; anthropology; myth; literary text; attendance; curriculum.

* **المرسل**: عبد القادر غالي، **الايميل**: ghaliabd580@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقدمة :

لم تكن للإنسان مقدرة على خلق الأساطير إلا مع تطور" الحياة البشرية", تكون المجتمع, فنشأ تدريجيا إشباع عن طريق " التخييل"، حيث كانت دراسة الأساطير و لا تزال تنحدر من علم الفلكلور ولأنثروبولوجيا، و تاريخ الديانات و علم الاجتماع، حيث باتت من أبرز الظواهر التي تقوم عليها الانثروبولوجية المعاصرة كونها كما يرى "يونج" رواسب نفسية لتجارب ابتدائية لاشعورية لا تحصى , شارك فيها الأسلاف في عصور بدائية , وقد ورثت في أنسجة الدماغ بطريقة ما , فاللاوعي الجماعي يختزن الماضي الجنسي, الذي ولد " الأبطال الأسطوريين البدائيين" , ولا يزال يولد " أخيلة فردية" مشابهة للرجل المتمدن ونجد تعبيره في رمزية تتجاوز حدود الزمان , غير أنها غير مألوفة نسبيا , وهي " رمزية " ما تزال تتكرر دوما.

تصور الأساطير" كفاحا " بين الذات الفردية المؤمنة بخلودها ، وبين الذات السلالية المجسدة في الإيديولوجية الجنسية التي تنبذ الخلود الفردي في سبيل الزواج والأولاد , وهو معروض في أسطورة " أوديب "بطريقة رمزية كنزاع خارجي بين الأب و الابن.

يرى " بريك فرم " أن هذه الأسطورة " الأوديبية " , لا تفهم كرمز للعلاقة الجنسية المحرمة بين الأم و الابن , بل كثورة من قبل الابن ضد سلطة الأب في العائلة البطريركية , حيث يسيطر الأب مما يعني انتزاع الابن كل ما كان يمتلكه الأب بما في ذلك زوجته ، ظلت الآراء النفسية حول الأسطورة تشغل بال القدماء , في سبيل تفهم الإنسان والكشف عن عقله الباطن, وعن مورثاته البعيدة..

انطلاقا من هذه المسلمات يمكن النظر إلى النص الاسطوري نظرة متكاملة، تحاول أن تستفيد من مختلف نتائج العلوم الإنسانية، و منها على الخصوص الأنثروبولوجيا، التي تدرس "المؤسسات و التقنيات في مختلف المجتمعات (**Le Petit Robert.– Paris, 1987.– p.74**)، "فمعالجة النص الاسطوري في هذا الإطار هي في حد ذاتها "تفكير حول مسألة التمثلla représentation ، ومنها على الأخص التمثل الرمزي، أي ذلك الإطار الأنثروبولوجي الواسع الذي يدعو لوضع النصوص الأدبية في مجموع الانتاجات التي يحاول الإنسان بواسطتها معرفة العالم، و الآخرين،و بالتالي معرفة ذاته أيضا".

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا: مفهوم الأسطورة الشعبية:

إن الأسطورة هي مجموعة من " الصور الشعرية المركبة " التي تصور قوى الطبيعة (نار–ماء – هواء – تراب) وعواطف الإنسان (الشهوة – الطمع– الغضب ...) مثل : زيوس صيغة المفعول:DIP , صيغة تابعة للفاعل: ZAN/ZEN لها وقع اللغة اليونانية على (ديا = بواسطة) و(زن= يعيش) ومعنى ذلك : يعيش بواسطة , مما يشير إلى : زعم أن زيوس هو القوة التي بواسطتها يجري كل شيء , أي إنه القوة الواهبة للحياة.

توصل " ماكس مولر" إلى " أن الأسطورة نشأت نتيجة قصور في اللغة , مما أدى إلى أن تكون للشيء الواحد أسماء متعددة , كما أن الاسم الواحد يطلق على أشياء مختلفة ".

إن " الأساطير اليونانية " و" الأعمال الأدبية " مستوحاة من الكتب المقدسة كانت الأمم الأولى تفكر بالشعر, وتتحدث بأساطيرها, وتكتب خطا " هيروغليفيا".

إن الشاعر وصانع الأسطورة يعيشان في عالم واحد , لديهما (موهبة أساسية واحدة) هي القدرة على التشخيص , ولا يستطيعان أن يتأملا شيئا دون أن يمنحاه حياة داخلية, وشكلا إنسانيا وكما يرى شكري عياد " الأسطورة لا تتعارض مع العقل , لأنها ليست خليط أوهام , أو مجموعة من هذيان العواطف وخبل الرؤى وهواجس الظن والخرافة ..إن للخيال في الأساطير منطقه الخاص.

نستنتج أن الشعر والأسطورة وسيلتان " تعبير" جمالية تهب الحياة لما لا حياة فيه, وتشخص الأشياء بقدرة عالية في البيان , وتسمو بها إلى عالم الفن والخيال , يرى الباحثين " ريتشاردز"و"كولريدج " , بأن الأساطير العظيمة ليست أوهاما , بل هي منطوق النفس الإنسانية كلها , وهي ليست متعة أو ملاذا للهرب حتى تطلب للراحة والفرار من حقائق الحياة القاسية إنها صيغة للتوافق بين الإنسان وبين العالم وعليه فإن للأسطورة علاقة بالعقل, وبالنفس البشرية وبالعالم وهي ليست وسيلة للتسلية , ولا هي أوهام بعيدة كل البعد عن التأمل, لكن الأسطورة منطقها الخاص.

ويفرق الدكتور محمد عبد المعيد خان بين الميثولوجيا Mythology وبين الأساطير MYTHES فالأول هو علم الأساطير , وهو علم من العلوم الحديثة , لم يكن معروفا عند العلماء الأقدمين, يبحث في التفكير ومناهج النظر, يرينا كيف شرع الإنسان الأول بالتفكير في نفسه , ثم في خالقه, وفي الرابطة بينه وبين الموجودات معنوية كانت أو مادية .

ويبدو أن في هذا التقديم إشارة إلى " الميثولوجيا" كعلم يبحث في الأساطير , مما يستخلص أن التفكير الأسطوري يعتبر بداية أو أساس كل تطور فكري , حتى أن الباحث في ميدان يكاد يسئ الظن بالأوائل ويتهمهم بالقصور الفكري , ولو أتيحت لنا فرصة العيش في زمنهم , وعلى نمط حياتهم , لبدا لنا أن فكرنا هو القاصر , فالتفكير يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ومدى تأثير أصحابه به.

يبرز الدكتور خان أن العلماء قد ذهبوا في تعريف الأسطورة مذاهب شتى:

- يعتقد زينوفانس أن الأساطير حكايات القدماء في الدين.
- ويرى سقراط أن صفات الآلهة يمكن اكتشافها من تحليل أسماء الأصنام.
- ومنهم من ذهب إلى استنباط فلسفة أصحاب التشبيه والمجاز, فقال مثلا إن القتال بين الآلهة ليس بمقاتلة حقيقية, بل يعبر بها عن التنازع بين عناصر مختلفة كالهواء والماء والنار والتراب, أو بين عواطف نفسانية كالحب والعداوة.
- وغير هؤلاء (هوميروس) يرى أن الأسطورة هي تاريخ في صورة متنكرة.
- وقد زاد ماكس مولر أن الأساطير مرض من أمراض اللغة = DISEASE OF LANGUAGE ومن خلال هذه الآراء يتضح أن هناك اتفاقا حول مفهوم الأسطورة كفلسفة في الحياة : وسيلة من وسائل التعبير الفني , يقصد أصحابها إبلاغ رسالة إلى المتلقي , إلا أنها تبرز أن كل واحد من هؤلاء المفكرين انحاز غلى نوع من أنواع الأساطير وعلاقتها حسب منظوره الشخصي , لكنهم لم يضيعوا لها تعريفا جامعا مانعا, وذلك بحكم قربهم من منبع الأساطير آنذاك.

ومن الذين اهتموا بدراسة الأساطير أيضا " راستين سميث ", يرى أن الأسطورة هي تفسير لشعائر الدين , وقواعد متعلقة بالعادات , في حين يذهب لليوساسبنس إلى أن الأسطورة من أهم عناصر الدين القديم, استخرجت من العادات والتقاليد أما" أندري لانج " فيقول: " إن التصور الديني ينبعث من ذهن الإنسان في حالة التفكير السريع الذي يطرأ عليه ويحمله على عبادة كل شيء مخيف أو مفيد , لكن الفكرة / الأسطورة تنشأ من حالة غير التي ذكرناها , أو بعبارة أخرى , إنها تنبعث من حالة ذهنية يلعب فيها الوهم والوسواس بالنفوس لا يستطيع المرء التعبير عنها بكل دقة , نظرا لسرعة الحدث والتفكير السريع فيه؟

وبالرجوع إلى الدكتور عبد المعيد خان , نجد أن الأسطورة ليست هي الفولكلور, ولا هي القصة, إنها شيء مختلف عن ذلك تماما, وهو يؤكد على أن الأسطورة – خاص عند العرب –هي " آراء البداوة التي تطرق ذهن الجاهلي وتخطر بباله, وتختلج في قلبه لحل معتقداتها, فهي قديمة العهد وبعيدة عن الوضوح ومحتوية على عناصر عدة , إلى حد أنه من لمستحيل أن نرى فيها سببا لكل ناموس من نواميس الحياة الفكرية ".

ومن الملاحظ أن عبد المعيد خان قد استطاع وضع أصابعه على تعليل منطقي وتفسير يميل إلى العقل أكثر منه إلى التخصص في مجال علمي دون آخر , ولهذا , فإن الأساطير كما تبدو لنا , مليئة بالحركة والتشويق والرموز يلعب فيها " التخييل" دورا كبيرا, والنفس ترتاح إلى مثل هذا النوع من المتن الحكائي, وإلى حد ما , رغم أن الهدف ليس هو "التسلية" , وهذا ما دفع الدكتور خان إلى القول : " أن الخيال مفتاح أبواب الخرافة وأساس توليد الأساطير".

ومن هذا المنطبق سوف ندقق النظر في مفهوم الخيال , دون التوسع فيه لما تكتنفه من الصعوبات , ونتوقف مع وليام جيمس في اعتباره الخيال قسمين : خيال تصوري= reproductive imagination وخيال إبداعي = productive imagination .

يربط عبد المعيد خان دراسته للأساطير العربية بين الأسطورة العربية وبين الخيال التصوري ويستنبط من فكرته هذه أن الأساطير العربية بنيت على التصور أكثر مما بنيت على الإبداع أي أن الأسطورة مستقاة مما يتصوره الإنسان العربي الجاهلي , لا مما يسعى إلى إبرازه وإظهاره كنصر جديد لم يسبق غليه , وقد بين الدكتور أن الأمة العربية مر بأطوار حسب علماء الميثولوجيا , وهذه الأطوار هي : ما قبل المذهب الحيوي: Préanimsme , المذهب الحيوي: Animisme , المذهب الطوطمي: Totémisme, تعدد الآلهة :Polythéism , توحيد الآلهة: Monothéism .

تطورات تداخل الانثروبولوجي بالأسطوري من خلال الأنواع الأدبية:

هناك علاقة مركبة و متراكبة بين الأدب و الانثروبولجيا ، حيث لم يجد المختصون في هذا المجال صعوبة في الانتقال من الظاهرة الانثروبولوجية إلىدراسة الآداب الكلاسيكية، حيث يشير **جلبير دوران** في احدى دراساته حول الاساطير إلى نقطة أساسية حيث يرى لا يمكن أن نفصل بين علوم الثقافة كالنقد الادبي و الادب و علوم المجتمع ،التي تنضوي تحت لوائها معالم الانثروبولوجيا، وعليه فلا توجد قطيعة في

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

توجه الباحث الانثروبولوجي و لا يجد عائقا في دراسته للنص الادبي و خاصة الاسطورة، *نجد على سبيل المثال* ***كلود ليفي شتراوس*** *يقول عن دراسة و تحليل النص الاسطوري انثروبولوجيا: " إن تحليل الاسطورة يتجاوز تحليل مسمياتها أو مضمونها ، و انه يرتكز على الكشف عن العلاقات التي توحد بين كل الاساطير ، و لقد أصبحت هذه العلاقات موضوعات أساسية في تحليله البنيوي، الذي استهدف الكشف عن الأبنية الموحدة لهذه الاساطير ، بالكيفية التي يرى بها أن هذه الأبنية تتجلى – خلال عملية تحليل الاسطورة- بالكيفية التي ينبثق بها الفكر اللاوعي في الوعي خلال عملية التحليل النفسي ، و لذلك يغدو الكشف عن هذه الأبنية نوعا من أنواع التحليل النفسي"* (**أديث كريزويل ،1993، ص 146**)، *و عليه* سنحاول أن نكشف تطور تداخل الظاهرة الأنثروبولوجية بالأسطورة من خلال الإشارة إلى تطورات مشابهة حدثت في أنواع إعلامية وأدبية.

أولا: التطورات المشابهة للأسطورة :حدثت تطورات مهمة في أنواع أدبية رافقت القصة والرواية والألوان المسرحية الأخرى والتي كانت من بين الأنواع التي تناقلت الأسطورة ولهذا وجب التركيز على هاته التطورات في البداية.

1 – التراجيديا : أن التراجيديا استعملت للدلالة على أن الشاعر المتسابق للحصول على أفضل عمل درامي، فهو نوع مسرحي تطور عن طقوس الإله ديونيسوسالتي كانت تجري في شهر مارس ويدور موضوعها حول البعث والموت وهي استعراض لطقوس قديمة، حيث ارتبطت بالحركة الدينية، مصورة آلهة الرومان واليونان في الأحقاب البائدة، وتطورت عند اليونان من دينية إلى جمالية في شكل نشيد شعري انشده جوقة من الكهنة في احتفالات ديونيسوس، وعند أرسطو تعتبر التراجيديا فنا نبيلا على طول معلوم بلغة ذات إيقاع , وتتم المحاكاة بين أشخاص يفعلون لا بواسطة الحكاية تثير الرحمة والخوف فيؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات بغرض إحداث تنقية على المستوى الجسدي والعاطفي أي بمعنى تفريغ لشحنات العنف الموجودة داخل الإنسان.

ارتبطت الأسطورة منذ القدم بأنواع تراجيدية كتراجيديا الانتقام تدور حول انتقام البطل لموت عشيقته أو التراجيديا البطولية التي تظهر البطل كفارس لا يموت ثم تراجيديا الخليط التي تتناول كل الإشارات المتداولة في المجتمع ثم التراجيديا الكوميدية التي يقترن بها المحزن بالمضحك.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2- الدراما:

هي فن من الفنون التي قدمتها الأسطورة القديمة لكل الوقائع التي تحمل الإشارة وهي تدل على المسرح كفن وكتاريخ وتعني أيضا العرض والأداء ففي كل الأحوال تعالج مشكلة من الحياة على أساس يثير الخوف والشفقة ونهايتها تبقى مفتوحة كحال حكايات التي تحكيها الجدة، والفرق بين الأعمال الدرامية تظهر في كونها خيالية اكبر منها حقيقية فالدمويات، التي كان يأتي ذكرها في مختلف الأساطير والقصص الخرافية،إنما تذكرها تلك القصص من باب إثارة الخوف والشفقة، فلو أطلقنا على القصص الخرافية التي جمعها الأخوين " جرام (**شفيق معلوف ، 1949 ، ص289**)" على الدراما، لوجدنا أن اغلبها يرمز إلى مفاعل الخوف والإثارة والشفقة وهو ما يؤكد أن الطابع الدرامي كان احد سمات القصص الخرافي، ولعل ما يعطي ذلك أحقية في الطرح هو ما صورته القصص الخرافية في عصر الركوكو (**الخطيب محمد كامل ،1981 ص 40**)من مبالغات دموية أخلطت كثيرا بالأعمال السحرية وهذا في الأصل عند النرويجين تشابك الحكايات الخرافية المسافرة من جيل إلى جيل ومن وطن إلى وطن.

فكان أكثرها قد استقر في بلاد غريبة ولا غرابة أن نجد قصصا بوذية أو هندية تروي في جنوب إفريقيا ومرد ذلك إلى التشابه الذي حدث بين التصورات العقائدية الواردة في الأسطورة.

كما هناك عدد كثير من المفاهيم الأدبية التي تتشابه إلى حد كبير بالأسطورة، والتي يجب الإشارة إليها لتوضيح بعض الفرو قات التي تميزها عن الأسطورة ومن بينها:

أ – الرواية:

ارتبطت الحكاية قديما بالأدب الكلاسيكي فهي تعني عرض مفصل لإحداث مرت بها التجارب الإنسانية، حيث حملت أفكار المجتمعات القديمة وجعلت منها صوانا صالحا لكل زمان ومكان، فخلاف على أنها محملة للتجارب صورت بطولات القدماء مغازي المعاصرين (**الخطيب محمد كامل،1981، ص 113**) أيضا حافظت على تطور الأحداث التاريخية ذلك أنها نقلت أحداثا شتى للأجيال وبذلك يمكن أن توصف الحكاية بأنها روح التاريخ الإنساني.

فالرواية هي صورة من الصور الأدبية نثرية في طرحها للمواضيع وهي ترادف كلمة قصة وبعد القرن 17أخذت معنا خاصا سمي بالقصة النثرية لحادث خيالي ولعل الشيء الذي طور القصة النثرية هو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الخيال الواسع الأسطوري ،حيث بدا الناس يصورون في حياتهم أشياء اغرب من الخيال لا صلة لها بالواقع عكس الزمن المعاصر.

حيث امن الناس بالتنوع في الحياة فقاموا بكسر طابور القدامة حتى يسهل لهم الاقتراب من الواقع وعند هذا الحدث تولدت الروايات المختلفة العاطفية المغامرات التاريخية وقد صور جورج لولانج (**شفيق معلوف، 1949 ،ص 289**) لرواية بأنها عاشت عصورا حديثة وموضوعها هو المصير الردي وان ابرز سمة شكلية تميز الرواية عن الأنواع الكلاسيكية هو اعتمدتها على اللغة النثرية.

و اذا طرقنا الجانب الانثروبولوجي نجد أن النص الروائي يعج بتجلياته ، حيث يستخدم السادر أو الراوي في معرض سرده العديد من العادات و التقاليد كاللباس و الطعام ، و المعتقدات الشعبية التي تبرز من خلالها الأسطورة بكل أنواعها ، و عادات الزواج ، و طرق مواجهة العين و السحر و الحسد الطقوس..وغيرها .

ب – القصة:

تعتمد القصة على السرد ونقل الحوادث من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية مركبة،حسب التكوين الثقافي لكل إنسان، وهي في كل الحالات تعبر عن مجموعة من الوقائع بشخصياتها في إخطار الرأي العام بمجموعة من الوقائع المختلفة التي يعيشها الإنسان، ورغم أن القصة المروية تختلف من إنسان إلى أخر، فهي تعكس نظرة الكاتب اللغوية والمعرفية عكس الإنسان العادي الذي لا يملك مؤهلات لغوية وما يتيسر في هذا الصدد هو توفر الحبكة أو البناء القصصي فلا تشترط أن تكون هناك علاقة بين الوقائع لان الإشارة يحددها البطل بينما يشترط أن تكون علاقة بين الهدف أو النتيجة فإذا كانت حيزية تريد الزواج من سعيد رغم منافسة سعيد فإنها إما أن تنجح أو تفشل والنجاح والفشل هما النتيجة ومن أجلها سيواجه سعيد مصاعب كبيرة.

***– عناصر القصة:**

تتوفر القصة على عناصر منها:

– المقدمة وهي شرح مختصر لما سيأتي .

– الوقائع وهي صور وأثار تحتاج إلى بناء حتى يفهم الصراع .

– الشخصية هي الحبكة التي يراها القارئ تتحرك أو يسمعها وهي تتكلم.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

– الزمان والمكان كالحكاية أو قصة أو رواية أو أسطورة ترتبط بزمان ومكان وقعت فيه الحوادث التي يتضمنها العمل المروي مهما كانت صفته .

– الفكرة هي جوهر أي عمل قصصي أو روائي أو رسالة إعلامية هو فكرة يقع خلفها معنى أو هدف وهي أساس كل بناء.

أما جانب الأسطورة فجلي واضح في عديد القصص العربية و العالمية فنجد دائما أن الفلكلور برمته حاضر في متنها على غرار تمظهرات الثوابت الأنثروبولجية التي تربطها بالنص الأدبي ، حيث تجسد عملية التواصل بين الملقي و المتلقي و تبيان الآثار الجمالية و التاريخية و النفسية و الميثولوجية في النص القصصي ، فبات النص الأدبي يشكل وثيقة للنص الاسطوري و البعد الأنثروبولجي للظاهرة الاجتماعية .

ت– المحاكاة:

نعني بالمحاكاة ذلك التقليد أو صنف من خطاب يحاكي الشيء الخارجي فهي تقليد لتقليد ونسخة من نسخة , فمهما كان العمل المحاكي فهو شيء ظاهري وليس أصلي أي أن أفكار الناس يستحيل الوصول إليها (**بوكروح مخلوف، 2002 ،ص12**) ,بينما يرى أِسطو أن المحاكاة غريزة وقاعدة الأعمال النفسية ولا تعني عنده مجرد تصوير للأحداث وإنما إعادة ترتيبها فالمحاكاة هي توظيف لثقافة لغوية تختص بنقل بطريقة تخمين مدروسة لما يعيشه الأخر فعملية إعادة عرض الأفعال البشرية مبدأ مشابهة للحقيقة يفصل بينهما عنصر المصداقية , فعندما نقرأ قصة بجماليون لتوفيق الحكيم فلا يعني هذا أننا نعيشها بكل موضوعية لأنها مجرد نقل ومشابهة بالحقيقة .

ثانيا : مراحل تطور الأسطورة:

مرت الأسطورة بعدة مراحل نجملها في الشكل التالي:

– **مرحلة العصر الأول** : تمتد مرحلة العصر الأول من القرن الثالث قبل الميلاد نقلت في هذه المرحلة حكايات الإغريق والهنود ذات الأبعاد الدينية والروحية الفيتشية.

– **مرحلة العصر الثاني** : تمتد من القرن الثالث عشر بعد الحروب الصليبية وكل الحكايات التي حكيت تناقلت عبر كثير من الباحثين , أهمها بحوث " الإخوة جرم" اللذين جمعا كل الحكايات الخرافية , على روايتها الأصلية ثم أضاف الأخ الثاني وليم حبكة لغوية لتهذيبها لأنها نقلت في بدايتها بأخطائها اللغوية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويعني بتطور الأسطورة هو وصول مغزاها سالما من أي تحوير, لأن الصفة الغالبة على الأسطورة هو الحكاية الغريبة ذات الارتباط المتشعب بالخيال الواسع أو السحر , فلا يوجد طور لهذا المغزى من الآخر , بل التطور حدث في أساليب نقلها من الأدباء والشعراء , فقد ظهرت في الشرق مجموعات قصصية أسطورية , عرفت بملتقى التيارات لمختلف الحكايات للشاعر الكشميري " أومماديو" وفي الغرب ظهرت مجموعات الأناشيد الدينية التي هي في الحقيقة نسخ مذهبة من الأساطير التي شهدها القرن الثالث قبل المسيح , وفي القرن الثالث عشر , ظهرت بإيطاليا مجموعة " دب كاميرون" للشاعر " بوكاشيبو" (**نبيلة إبراهيم بيروت ص:145**) , مجموعة 13ليلة ممتعة لـ" إستراباررولا" ثم مجموعات " الأخوين جرم" بفرنسا وحكايات أمي لوي, وبألمانيا حكايات الذئب والنعاج السبعة وعند العرب حكايات ألف ليلة وليلة لابن المقفع ,أصبح واضحا أن كل بقعة في العالم تمتلك رصيدا خرافيا من قصص خيالية, حاول الأدباء دراسة مناهجها للإجابة على سؤال كيف حافظت على تواجدها رغم البعد الخرافي بين الحضارات , ؟ لا شك أن في ظلك سر لا طالما حاول الباحثون الإجابة عليه وسوف نذكر بعض تلك الدراسات. الهمجية , والبربرية والمرئية وهي تقسيمات مبالغ فيها , عكس ما ذكره ابن خلدون في المقدمة بأن الأمم القديمة , جاءت إلى المدينة بعد قهر الحمية المتوحشة التي أفرزتها الطبقية ويفسر هذا الاتجاه نظريتي (إدوارد تايلينز, جيمس فريزر) وسنذكرهما على سبيل توضيح هذا الاتجاه الذي غلب على الأسطورة.

- **نظرية تايلور**(1871) (**ادوارد تابلير، 1989 ،ص 103**): تعلقت هذه النظرية بفكر الثقافة البدائية التي زادت الحياة تعلقا عند المبتدئين وهو ما جعل تايلور يضيف الابتكار والإبداع عند الشعوب القديمة التي حولت السحر والنجوم والأشجار إلى نماذج حية وذهب تايلور بعيدا في إبداعه , عندما قسم الفصيلة الأسطورية إلى نظام شمولي ظهر على شاكلة نظام العولمة وهي نظرية تشابه وتختلف كما أكد ذلك الدكتور " أوشاطر" في رسالته مع فقهاء آخرين الإخوة حدي في النظرة الوجودية عند شعوب إفريقيا وأستراليا , التي تسلبه فيما يخص الأمراض والمنوم إلا أنه لم يعزل تماما من مفاهيمه الخالدة بين الأسطورة والتاريخ.

- **الاتجاه الوظيفي** (**ادوارد تابلير، 1989 ،ص 45**): رأى زعماء هذا الاتجاه الوظيفي برفض منطق استخدام الأمم السابقة للفصل الأسطوري , ويجب إبعاد دراسة تاريخها لأنه في رأيها مهدر للوقت , دائما يجب الربط بين الأدب الشعبي والأسطورة والدين مع متطلبات الحياة كما دعي إلى ذلك (فرانز

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

داوس 1858-1942م) , وقد قدم " مالينوفسكي" نموذجا لتفسير الأسطورة من هذا الاتجاه من خلال مناشدته لتطبيق جملة من القيم الثقافية.

- **نظرية مالينوفسكي**: إن مالينوفسكي انتقد بدوره الأحداث الأسطورية وقال هي متطلبات وحاجات يعايشها الفرد من خلال معاينتها بصفة شخصية لا تروى أية حصول علمي يميزها عن التصرفات المعرفية, بل يوجد لها منحى مغاير يذهب إلى الاعتقاد بالسير على حد ما زعمه عبد الحميد يونس (**إبراهيم الخطيب، 1986 ،ص102**) بأنها تحمل نزاعات دينية عتيقة لتحقيق احتياجات علمية.

- **الاتجاه البنائي** (**احمد رشتي صالح، 1961 ،ص135**): يرى أنصار هذا الاتجاه وجود إجحاف في حق الأسطورة والملحمية والحكم من ذرف الدارسين الذين اهتموا بالأنواع الإبداعية الأخرى , ولهذا فإن الوحدة الجمعية اللاحقة التي وجدت مجموع من الفقهاء (كاندريه بوليس) في الكشف على آليات الترابط بين الأساطير قيدت لصالح العقل الجمعي الذي يحيط به دائرتين " دائرة العالم الكبير" و " دائرة العالم الصغير" وهي الفكرة التي مهدت إلى نشوء محاولة " بروب التحليلية" (المورفولوجية) التي نشأت على دراسة المكونات الأساسية للأسطورة.

4 – أنواع الأسطورة وطرق انتقالها:

عرفت الأسطورة عدة أنواع صنفها الباحثون وفق معايير تاريخية وعلمية نذكرها مفصلة بالطريقة التالية:

أ – الأسطورة الطقوسية: ترمز إلى كل ما قيل من ملفوظات ذات مغازي.

ب– أسطورة التكوين: كل الملفوظات لتي تصور عملية خلق الكون.

ت– الأسطورة التعليلية : تعلل كل الحوادث المذكورة في المغازي.

ث– الأسطورة الرمزية: تتضمن رموزا تتطلب التفسير.

ج– أسطورة البطل الإله: يتميز فيها البطل بأنه مزيج من الإنسان والإله, (البطل المؤله) الذي يحاول بما لديه من صفات إلهية أن يصل إلى مصاف الآلهة, ولكن صفاته الإنسانية دائما تشده إلى العالم الأرضي ويقسمها الدكتور أحمد كمال زكي (**أحمد شمس الدين الحجاجي،1984 ،ص130**) إلى أربعة أنواع هي:

* الأسطورة الطقوسية.

*الأسطورة التعليلية.

*الأسطورة الرمزية.

إن تنوع الأساطير , يؤدي إلى تنوع تعاريفها , لأن كل تعريف يتأثر بنوع الأسطورة , أو بنوعين أو ثلاثة أنواع, ولذا يبقى التعريف قاصرا على أن يكون جامعا مانعا. ويسمح هذا التنوع بظهور مناهج:

- **المنهج اليوهمري**: ينظر للأسطورة على أنها قصة لأمجاد أبطال وفضلاء غابرين.
- **المنهج الطبيعي**: يعتبر أبطال الأساطير ظواهر طبيعية.
- **المنهج المجازي**: ينظر للأسطورة على أنها قصة مجازية تخفي أعمق معاني الثقافة.
- **المنهج الرمزي**: بمعنى أن الأسطورة قصة رمزية, تعبر عن فلسفة كاملة لعصرها, لذلك يجب دراسة العصور نفسها لفك رموز الأسطورة.
- **المنهج العقلي**: يبين أن نشوء الأسطورة كان نتيجة سوء فهم ارتكبه أفراد في تفسيرهم, أو قراءتهم أو سردهم لرواية أو حادث.
- **منهج التحليل النفسي**: يظن أن الأسطورة تحتوي على رموز الرغبات غريزية وانفعالات نفسية.

تشترك الأجناس الأدبية مع الأسطورة في بعض عناصرها , مثل : الخرافة, اللامنطق اللامعقول, اللامكان.

إن الخرافة هي الحديث المكذوب , وذكر ابن الكلب (حديث خرافة) وهو تمثيل لرجل من بني عذرة، أو من جهينة، اختطفته الجن، ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منه الناس فكذبوه، فجرى على السن الناس، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (وخرافة حق) وفي حديث عائشة قال لها حدثيني، قالت ما أحدثك حديث خرافة وهي تختلف عن الأساطير في أن الخرافة تناقلتها الناس بلغتهم الدارجة، في الوقت الذي احتفظت فيها الأساطير بلغة فصيحة، كما أن الأسطورة ترجع إلى ما قبل الأديان، أما الخرافة فقد ظهرت بعد الوثنية ، ولذا يغلب عليها الطابع التعليمي والتهذيبي، والبطل فيها يكون بعيدا عن الواقع.

إن استخدام العناصر الخيالية يهدف إلى التشويق والإثارة، أما بنيته الأسطورية تمتاز بالبساطة، وتسير في اتجاه خطي واحد وتحافظ على تسلسل منطقي، ينساب في زمان ومكان حقيقي.

وصنفت الأسطورة حسب زمان و مكان وقوعها إلى عدة أصناف منها:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا :الأساطير حسب الموطن : توجد أنواع من الأساطير ينبغي إدراجها حسب الموطن:

– **الأساطير الأصلية** : ترتبط بتلك الأنواع المرتبطة ميتولوجيا بين شعوب العالم وهي أساطير قابلة للتوسع، تحمل أصوال حقيقية تجمع بين طياتها كل الوحدات الوظيفية، كالأساطير بلاد الرافدين، أساطير الطوفان التي تناولت النصوص البابلية والأشورية أو لماس التي عثر عليها في عصور أشور باش نال في بينوني (**أوشاطر مصطفى ، 2002 ، ص18**)

– **الأساطير المهاجرة** :إن ما ثير التساؤل هو تشابه الأساطير المصرية والصينية إلى درجة أنه ذهب اعتقاد بعض الباحثين أن مكان إقامة تلك التجمعات في مكان واحد هو اعتقاد يرفضه المؤرخون و ما أصبح يدل على الشك هو سفر تلك الأساطير، ولعل ما عمق ذلك هو ما وسع أفق التعارف بين تلك المجتمعات .

ثانيا :الأساطير حسب الموضوع:

تحمل الأساطير في دلالتها النصية مواضيع كثيرة تتناول حياة الكون وأخلاق الإنسان النسيان والجمال وهذا ما جعلنا نصنفها حسب المواضيع، وجعلت(هنري هوك (**غريه الان دون ، ص 180**))يبددها إلى خمس أساطير" أسطورة الطقس"،" أسطورة الأصل" و"الأسطورة السنية " ، و" أسطورة العبادة والبعث " ووضع (حاتسينون) أصناف أخرى سماها أساطير الأصول وأساطير التنظيم.

أ – **أساطير عن الآلهة والكائنات السنوية:** اشتهرت في هذا الصدد الأساطير العاطفية كأسطورة تموزوالونيس.

ب – **أساطير الإحرام السنوية** : أساطير المس و القمر المعروفة عند المتدينين.

ج– **أساطير الأبطال** : وهي التي تتولى تعظيم العلماء و الصالحين.

خاتمة:

جاء الحضور الأسطوري متمازجا و ثريا ، لا ينفصم عن الممارسة التي تتوخى الالتزام بالحقل الانثروبولوجي،لأن الأساطير تجلت في وصف الاقتحامات المختلفة , وفي بعض الأحيان المأساوية للمقدس (أو المافوقي) في العالم المادي , وهذا الاقتحام هو الذي يؤسس حقيقة الكون ويجعله على الصورة التي هو عليها الآن , وأكثر من ذلك , صار كائنا فانيا شقيا ثقافيا , نتيجة تدخل الكائنات

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المافوقية , وهكذا يمكننا اعتبار الأسطورة قصة مقدسة وهي بذلك قصة حقيقية لأنها تحيل دائما على الحقائق , فأسطورة أصل الموت هي الأخرى أسطورة حقيقية لأن فناء الإنسان يثبت ذلك .

قائمة المصادر والمراجع:

1 -إبراهيم الخطيب، 1986، مورفولوجي الخرافة، الحركة المغربية للناشرين.

2 - احمد رشتي صالح،1961 الفنون الشعبية، دار القلم.

3 -أحمد شمس الدين الحجاجي، 1984، الأسطورة في المسرح المصري المعاصر، دار المعارف القاهرة.

4 -ادوارد تابلير،1989 ، مبادئ علوم التنظيم ترجمة رشيد غنام مطبعة دار الملايين بيروت .

5 -أديث كريزويل، 1993، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة

6 - أوشاطر مصطفى، 2002، الأسطورة في التراث الشعبي، رسالة دكتوراه جامعة تلمسان.

7 -بوكروح مخلوف، 2002، محاضرات في النقد قسم الإعلام جامعة الجزائر غير منشورة.

8 -شفيق معلوف،1949، عبقر منشورات العصبة الأندلسية دار الطباعة سان باولو، البرازيل.

9 -غرييه الان دون، نحو رواية جديدة ترجمة إبراهيم مصطفى دار المعارف القاهرة.

10 -محمد كامل، 1981، الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت.

11 -نبيلة إبراهيم، االحكاية الخرافية ومناهج دراستها، دار القلم بيروت.